وليلي Volubilis (قصر الفرعون)
من أهم المدن الرومانية بموريطانيا الطنجية (المغرب الاقصى)

إعداد الأستاذة ساحير نصيرة
المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية بوزريعة الجزائر

أهمية وليلي(قصر الفرعون)

تعتبر وليلي (قصر الفرعون) من المدن الداخلية الهامة بمقاطعة موريطانيا الطنجية[1]، وهي تقع على بعد 30 كلم شمال مدينة مكناس. ويذكر بلين الكبير[2] Pline L'ancien أن وليلي تقع على بعد 35 ميلا رومانيا جنوب مستعمرة بنازا Banasa (سيدي علي بوجنون) وعلى مسافة متساوية بين المحيط الأطلنطي غربا والبحر الأبيض المتوسط شمالا ولكن حسب تعليق دوزنج Desanges لكتابه تبين أن وليلي توجد في الحقيقة على بعد 78 كلم من بنازا وهو ما يعادل 53 ميلا رومانيا، وكما أنها تقع على بعد 100 كلم من المحيط الأطلنطي وعل بعد 150 كلم من البحر المتوسط.

وتشغل وليلي موقعا على هضبة مثلثية الشكل تعتبر امتدادا لجبل المركاب Djebel el Mercab (ينتمي إلى سلسلة جبال زرهون Zerhoun)، ولقد قدر علوها بـ :390 مترا و هي ذات ميل خفيف نحو الغرب [3]

وبحكم هذا الموقع فإن وليلي تتحكم من هناك في مناظر بعيدة وذلك نحو اتجاهات مختلفة والتي تمتد من جبل زرهون شرقا إلى غاية قمة بلاد القيروان Bled des Guerouane شمالا[4] ومن الجهة الغربية والجنوبية فوليلي تتحكم

---

1 Chatelain . (L .), «le Maroc avant l'islam » ,L'Encychopédie coloniale et maritime, éd .Blanch et cie (paris, 1939) ,p.82.

2 Desanges (J.), Pline L'ancien, Histoire Naturelle, livre V, l'Afrique du Nord, éd.Les Belles Lettres, Paris 1980,p..95.

3 Thouvenot (R)., volubilis, éd . les belles Lettres, paris ,1949 ,p.10.

4 Euzemnat (M.), «le temple c de volubilis et les origines de la cite», BAM, tome 2,1957, p.52.

في السهول التي تمتد بدورها إلى غاية وادي ردوم Rdom والتي تصل إلى غاية مكناس جنوبا [5].

وتكمن أيضا أهمية موقع وليلي في وجوده بوسط مجاور للأودية: كرومان Kromane وردوم Rdom وفرطاسة Fertassa (أحد روافد كرومان)، بالإضافة إلى عين شكور بشمال وليلي وهي كلها تعتبر من المصادر الأساسية التي زودت وليلي بالمياه، وقد تأكد استعمالها من طرف الرومان وذلك بالعثور على آثار عديدة لقنوات نقل المياه Aqueduc، وهو الشيئ الذي ساعد أيضا على انتشار الحقول وتنوع المحصولات الزراعية [6].

ويعود التاريخ الأول لاستقرار الرومان بوليلي إلى سنة 44 م، وهو يوافق تاريخ إنشاء مقاطعة موريطانيا الطنجية (بعد فصلها عن جارتها موريطانيا القيصرية)، ويظهر من خلال النقش اللاتيني الذي عثر عليه شاتلن Chatelain[7] أن وليلي قد وقفت إلى جانب الرومان ضد ثورة المور التي كانت بقيادة أيدمون سنة 40م، وأنه كعرفان لما قدمته من إمدادات عسكرية تحت قيادة ماركوس فالريوس سيفيروس Marcus Valerius sévérus فلقد رفعها الإمبراطور كلوديوس إلى مترلة البلدة الرومانية Municipium volubilitanum، وذلك منذ سنة 44 م (عكس المدن الرومانية الأخرى التي كانت تنتظر طويلا للحصول على هّذا الحق)، وكما قدمت لها تعويضات للخسائر التي ألحقتها بها ثورة المور.

ولقد عرفت وليلي تطورات هامة طيلة العهد الروماني، فبعد الاستقرار النهائي للرومان تعرضت وليلي للتخريب للمرة الثانية ، وذلك خلال منتصف القرن الثاني الميلادي[8] مما أدى إلى ضرورة تزويدها بسور كبير يحميها من الهجومات المورية المتكررة ،و كما تم تزويدها منذ تلك الفترة بمنشآت عمرانية كبيرة تشهد آثارها التي مازالت قائمة إلى حد الآن على مدى روعتها وضخامتها، التي جعلت منها خلال القرنين الثاني والثالث من أهم المدن الرومانية بمقاطعة موريطانيا الطنجية [9].

---

5 Thouvenot, op. cit , p.11.

6 IBID. p.12

7 Chatelain (L.), «Une inscription relative à la révolte d' Aédemon» C.R.A.I, 1915, pp. 398–399.

8 Carcopino (J.), Le Maroc antique, éd. Gallimard, Paris, 1948, pp . 270-265 .

9 Thouvenat (R.), op. cit , p. 17.

ويبدو أنها كانت بمثابة المقر الثاني لحكام المقاطعة بعد طنجة Tingis، وذلك بالنظر أيضا إلى العدد الهام من النقوش اللاتينية التي عثر عليها بوليلي[10]، ونجد من أهمها النقوش التي تناولت التحالف الثنائي الروماني المـوري (مع قبيلة البقواط Bacuatae) وقد تبين أن وليلي كانت خلالها مقرا للتفاوض بين الطرفين[11]، وكما كان لحكام المقاطعة مقرا خاصا بهم عندما يستقرون أو يمرون بوليلي، وهو يدعى بقصر الحكام وعادة ما يلقب باسم الإمبراطور الحاكم وذلك كدليل الولاء له، وأفضل مثال لذلك نجد قصر قورديان الثالث Palais Gordien III (238 – 244 م)[12].

ويذكر توفونو Thouvenot[13] أنه أمام ضخامة الآثار الرومانية التي بقيت معالمها بارزة إلى غاية العصور الحديثة خاصة منها آثار البزيليكا Basilica وقوس النصر الذي أهدي للإمبراطور كراكالا Caracalla، اعتقد سكان المنطقة أنها آثار فرعونية فأطلقوا عليها اسم قصر الفرعون وبقيت وليلي تعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا.

وكل ما وصلنا من معلومات حول آثار قصر الفرعون قبل الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى فهي عبارة فقط عن وصف قصير لبعض المسافرين، ويقر بعض المؤرخين[14] أن الإنجليزي جون وندوس Windus هو أول من قدم وصفا قصيرا عن تلك الآثار في كتابه "يوم في مكناس Ajourney To Mequinez" وذلك عند مروره بقصر الفرعون سنة 1721 م ضمن الوفد الإنجليزي الذي أرسله الملك جورج Georges الأول إلى مكناس .

و في سنة 1874 أكد تيسو[15] Tissot من خلال أبحاثه بالمنطقة أن آثار قصر الفرعون هي آثار لمدينة وليلي التي جاء ذكرها في النقوش اللاتينية وكتب الأولين.

ومنذ سنة 1915 تحولت قصر الفرعون (وليلي) إلى حقل كبير للأبحاث الأثرية تحت إشراف إدارة الحماية الفرنسة، وتم اكتشاف معظم آثار المدينة وخفايا كثيرة من ماضيها البعيد[16].

---

10 Frézeoules, «Les inscriptions nouvelles de volubilis», M.E.F.R, T.2 , 1956, PP.121 – 127.
11 Carcopino , op. cit , p.188.
12 Ibid , p.191.
13 Thouvenot (R.), op. cit, p.19.
14 Chatelain (L.), «le maroc avant l'islam», op . cit , p.83; Thouvenot (R.), op. cit , p.19.
15 Tissout (M), Recherches sur la géographie comparée de Mauritanie Tingitane, Paris, 1876, p. 148 .
16 chatelain , Le Maroc des Romains , étude sur les centres romains , éd. Boccaed, Paris, 1944, p.82 .

وصف المدينة:

لقد تبين من خلال الأبحاث الأثرية أن وليلي قد مرت بعدة مراحل تاريخية طيلة الوجود الروماني بها، ويبدو من خلال ذلك أن الرومان استقروا في البداية بالجهة الجنوبية التي كانت من قبل مقرا ليوبا الثاني وابنه بطليموس من بعده، وذلك باعتبارها المكان الأسهل للدفاع والمراقبة[17].

وبعد الاستقرار النهائي للرومان بالمنطقة استغلت مختلف الجهات الأخرى وذلك تبعا للمراحل التاريخية التي مرت بها وليلي والتي أدت إلى ظهور أجزاء مختلفة بها أصطلح على تسميتها بالأحياء ومن أهمها نجد الحي الشمالي الشرقي [18] باعتباره الأكبر والأهم من حيث المنشآت العمرانية التي عثر عليها بداخله .

وكما أحيطت وليلي بسور كبير كان يحيط بمعظم أحياء المدينة، ولقد أكد نقش لاتيني[19] الذي عثر عليه على إحدى الأبواب أن تاريخ إنشائه يعود لسنتي 169/168م، وذلك من أجل حماية المدينة من الهجومات المورية المتكررة، والتي عانت منها وليلي كثيرا، زيادة إلى ذلك يرى روبوفا Rebuffat[20] أن تاريخ إنشاء سور وليلي يصادف في نفس الوقت التطور الاقتصادي للمدينة الذي وفر لها كل الوسائل اللازمة لبناء سور عظيم تم رسمه بعناية كبيرة حتى يليق بمدينة وليلي التي كانت لها أهمية خاصة لدى الحكام .

لقد تبين بالفعل من خلال الأبحاث الأثرية التي اكتشفت معظم أجزاء سور وليلي أن طوله يصل إلى 2 كلم و 350 مترا، وهو بذلك يتربع على مساحة كبيرة قدرت بـ40 هكتار[21] ويعتبر بذلك من أكبر الأسوار الرومانية ليس فقط بمقاطعة موريطانيا الطنجية وإنما أيضا بكل المقاطعات الرومانية بشمال إفريقيا [22].

ويظهر سور وليلي على شكل شبه منحرف غير منتظم الأضلاع يتراوح سمكه بين 1.5 إلى 1.8 م، وافترض أن ارتفاعه قد يصل إلى 5 أو 6 متر[23]، ولكن بعد دراسة الباب الشمالية الشرقية للسور التي تسمى بباب طنجة بدا ارتفاع السور أنه يصل ربما إلى غاية 9 متر[24].

17 Chatelain, «Le Maroc avant l'islam», op. cit ,p.83.

18 Etienne , le quartier Nord est de Volubilis, éd . Boccard, Paris, 1960, p. 4.

19 Inscriptions Antiques du Maroc (I.A.M) 2: Inscriptions Latines, 382; Frézouls, «les insriptions nouvelles de valubilis», op.cit, p .401.

20 Rebuffat (R.), «enceintes urbaines et insécurité en Mauritanie Tingitane .», M.E.F.R , tome 86 ,1974, p. 210.

21 Thouvenat, op. cit, p . 35.

22 Rebuffat (R), " Enceintes urbaines ... », op. cit , p. .510.

23 Thouvenat, op, cit, p . 35.

وقد وصل عدد الأبواب التي أحيطت بالسور من مختلف جهاته إلى ثمانية أبواب ،من بينها ستة أبواب زودت كل واحدة منها ببرجين للمراقبة[25]، وكما وصل عدد أبراج المراقبة التي تم توزيعها على طول السور (باستثناء أبراج الأبواب الستة) إلى 21 برج، يبعد كل واحد عن الآخر بمسافة تتراوح بين 43.5 إلى 81.5 متر[26].

أما بالنسبة للمنشآت العمرانية التي تم اكتشافها داخل سور المدينة والتي مازالت آثارها قائمة إلى يومنا هذا، نجد الساحة العمومية FORUM التي أحيطت بدورها بمباني كبيرة نجد من بينها البازيليكا Basilica [27] وقوس النصر الذي يحمل اسم الإمبراطور كاراكالا Cracalla [28].

وكما عثر على عدد من المعابد ومن أهمها نجد معبد الكابيتول Capitole الذي يقع جنوب البازيليكا وهو يعود إلى سنة 217 م، يتوسطه مذبح كان مكانا لتقديم الأضحية للآلهة الرومانية التي انتشرت عبادتها بمعظم المدن الرومانية بمقاطعة موريطانيا الطنجية [29]

وبالقرب من المباني العمومية تم إنشاء المنازل وتشهد الروسومات الجدرانية و الفسيفساء التي زخرفت أرضيتها على مدى رقي الطبقة الأرستقراطية بوليلي، وقد تم التعرف من خلالها على أشهر المنازل وأروعها، ونجد على رأسها منزل أورفي Orphée ومنزل إفاب Ephebe[30]. ودون أن ننسى ذكر المنزل الخاص بالحكام الذي يحمل اسم الإمبراطور قورديان الثالث Gordien III (238- 244)، وهو مربع الشكل (أبعاده : 70x70م)[31].

وبالجهة المقابلة للمنازل، فقد عثر على حمامين من النوع العام وثلاث حمامات من النوع الخاص وهي متمركزة بالأحياء الشمالية والشمالية الشرقية وأشهرها الحمامات التي كانت تدعى بحمامات قاليان Gallien (لأنها تحمل نقشا لاتينيا أهدي إلى شرف هذا الإمبراطور). وقد عثر على معظم أجزاء الغرف التي تتكون منها

24 Euzennat (M), Le limes de Tingitane, la frontiére méridional, Paris, 1960, p.233.
25 Chatelain, ***le maroc des romains*** ..., op. cit , p. 164.
26 Euzennat, op. cit , p.211.
27 Thouvenot, op. cit , p.35.
28 Chatelain, «l'arc de triomphe de carcalla» P.S.A.M., 1938 , pp.11-21.
29 IDER (L.), le Maroc des romains ..., op. cit , p. 147 .
30 Thouvenot (R.), «la maison à l'ephébe», P.S.A.M, 1945, pp .144-131.
31 Etienne (R.), op. cit , p.4 .

الحمامات [32]، وآثار لقناة نقل المياه Aqueduc، وذلك على بعد 1 كلم شرق جنوب وليلي (أبعادها 0.42 x 0.40 م) وهي تمر بجدار السور بالقرب من البوابة الشمالية الشرقية، وبداخل المدينة تتفرع إلى عدة فروع، وذلك لتزويد كل المنشآت العمرانية بالماء [33].

وبوجود المياه التي توفرت بكثرة بوليلي (بحكم موقعها بالقرب من الأودية) انتشرت الحقول والمزارع التي كانت تنتج مختلف المحصولات الزراعية وخاصة منها الحبوب والزيتون [34] وذلك بدليل أن عددا كبيرا من الفسيفساء والرسومات الجدرانية الكبيرة التي عثر عليها بوليلي كانت تمثل معظمها مشاهد زراعية (المطاحن وزراعة القمح خاصة) [35].

وكما وصل عدد معاصر الزيتون التي عثر عليها إلى حد الآن بوليلي إلى 55 معصرة وهي تدل على مدى أهميتها بالمنطقة [36].

وبفضل ذلك أيضا عرفت الحركة التجارية تطورا كبيرا، بحيث كانت وليلي مركزا تجاريا هاما كان يزود معظم المناطق المجاورة لها (وخاصة منها المراكز الرومانية التي كانت تتصل بها عن طريق شبكة الطرق الرومانية) بمعظم المواد الزراعية وخاصة منها القمح والزيتون والتي كانت تصل من هناك إلى غاية روما [37].

32 Thouvenot R.), «les thermes dits Gallien à volubilis», P.S.A.M, 1935, pp .11-29.
33 Etienne, op. cit, p. 4.
34 Thouvenot (R.), volubilis, op. cit, pp.45 –46.
35 Luquet .(A.), «Blé et meunerie à volubilis», B A M, tome VI, 1966, pp..301 – 314 .
36 Luquet (A.), «Atlas archéologique de volubilis», BAM, tome V, 1964, p.208; Akerraz (AO), «les huileries De volubilis», BAM , tome XIV, 1981 –1982, p.70.
37 Thouveno t (R.), volubilis op. cit, pp. 25 –26.

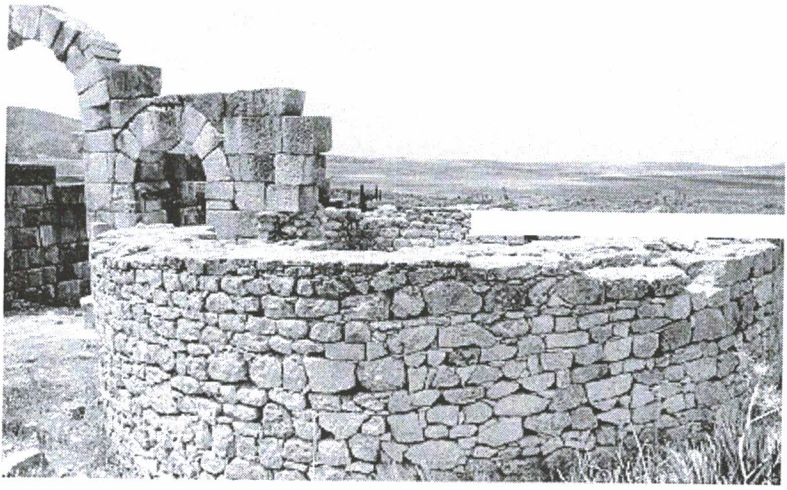

الصورة 1: سور وليلي Volubilis

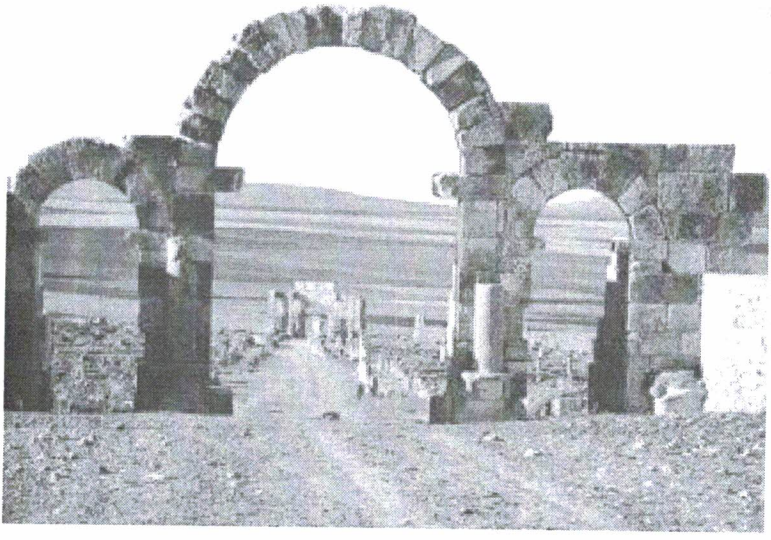

الصورة 2: باب طنجة(الباب الشمالية الشرقية من سور وليلي)

الصورة 3 : البازيليكا Basilica

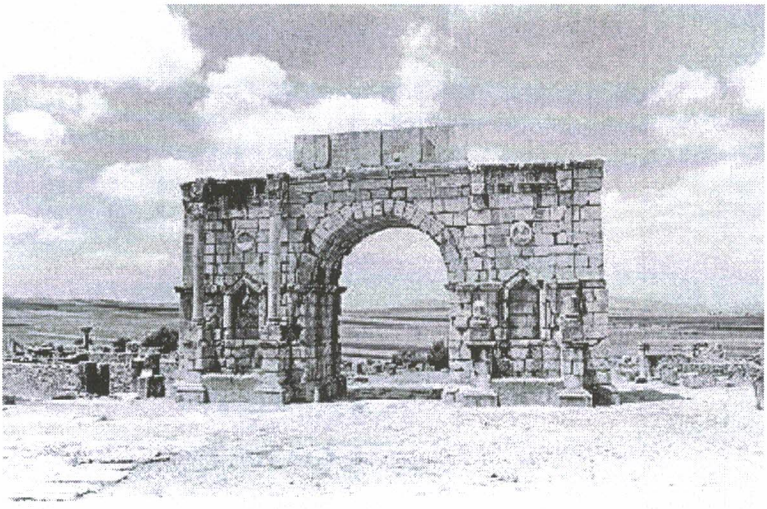

الصورة 4 : قوس النصر

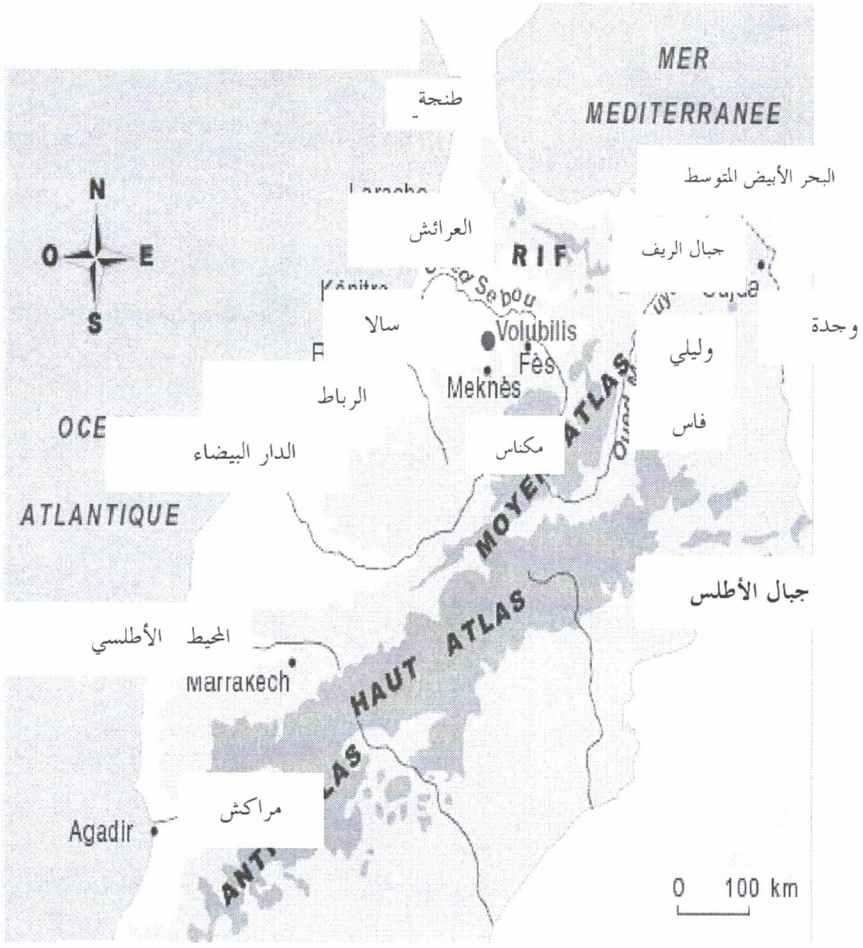

موقع وليلي في المغرب الأقصى